سبل التصدي لمداخل التطرف في زمن التثقيف والتنشئة الإلكترونية الافتراضية

ريهام عبد الله سلامة *

تعيش مجتمعاتنا الحالية في عصر رقمي شامل يتسم بسرعة انتشار المعلومات وتنوعها، الأمر الذي يجعل انتشار المعلومات والأفكار أسرع من ذي قبل ولكنها في الوقت ذاته أتاحت ساحة وفضاءً لمروّجي الفكر ومثيري الرؤى، منها النافع ومنها الضار؛ إذ لا يميّز ذلك الفضاء الإليكتروني بين الخبيث والطيب ولا بين البنّاء والهدّام ولا بين الفكر المعتدل والفكر المتطرّف، ما يفرض تحديات جديدة تتمثل في انتشار الفكر المتطرّف والآراء الشاذة، بل وتربية جيل كامل عليها، وتحوّلها – في عصر الثورة الرقمية – من مجرّد آراء فردية منبوذة كانت تروّج في الخفاء قديمًا إلى ثقافة عامة ومظاهر شائعة بين أفراد المجتمع، من هنا برزت الحاجة لتفكيك الفكر المتطرّف سواء كان دينيًا، أو اجتماعيًا أو ثقافيًا، وإقامة حصون عقلية تجابه محاولات مروّجي الأفكار المتطرفة، وتعمل على تكوين جبهة تنشئة إليكترونية خالية من التطرّف والانحرافات.

أولًا: مدخل مفاهيمي

ماهية التطرف

يُعرّف التطرف في المعاجم اللغوية والفقهية بأنه «الغلو»، وفي العلوم السياسية بأنه تبني آراء تقع خارج نطاق الإجماع المجتمعي وتدعو لتغيير جذري بوسائل غير سلمية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 2021). فالتطرف هو مجاوزة حد الاعتدال، ويقصد به الانجراف الفكري أو السلوكي نحو آراء متشددة تتجاوز المألوف والمعتدل، سواء في الدين أو السياسة أو الفكر، ويتسم بالتعصب ونبذ الآخر وغالباً ما يؤدي إلى رفض الحوار واستخدام العنف لتحقيق أهداف، ويمكن أن يتخذ أشكالاً

* مرصد الأزهر لمكافحة التطرّف.

وعباءات مختلفة منها الدينية، أو السياسية، أو الأيدولوجية أو غيرها، ويمكن أن يتجلى التطرف بأساليب متعددة تشمل: العنف، والتحريض، والإيذاء، وأحيانًا القتل، ويتأثر بعدة عوامل منها: الخلفيات الاجتماعية، والنفسية، والثقافية، وغيرها.

التثقيف والتنشئة الإليكترونية الافتراضية .. المفهوم والمظاهر

يشير **مفهوم التثقيف والتنشئة الإلكترونية الافتراضية** إلى عملية تربوية – ثقافية معاصرة تتم داخل الفضاء الرقمي، وتهدف إلى نقل المعارف والقيم وبناء الوعي وتنمية المهارات لدى الأفراد، ولا سيما الأطفال والشباب، عبر الوسائط الإلكترونية والمنصات الافتراضية المختلفة، مثل شبكات التواصل الاجتماعي، والمنصات التعليمية الرقمية، والمحتوى التفاعلي متعدد الوسائط. ويعتمد هذا النمط من التثقيف على تنمية الوعي المعلوماتي، وتعزيز التفكير النقدي، وترسيخ أخلاقيات الاستخدام المسؤول للتقنيات الرقمية، بما يمكّن الفرد من التفاعل الواعي مع المحتوى الإلكتروني في بيئة تتسم بالسرعة والتأثير الواسع والعابر للحدود الجغرافية والثقافية (Buckingham, 2015)، (Castells, 2010).

أما **التنشئة الإلكترونية الافتراضية** فتمثل امتدادًا حديثًا لمفهوم التنشئة الاجتماعية التقليدية، حيث لم تعد الأسرة والمؤسسة التعليمية المصدرين الوحيدين في تشكيل القيم والاتجاهات والهوية للنشء، بل أصبحت المجتمعات الافتراضية، والمؤثرات الرقمية، والألعاب الإلكترونية، والمحتوى التفاعلي عبر الإنترنت عوامل رئيسية في بناء أنماط السلوك والتواصل والتمثلات الثقافية والدينية. وعلى الرغم مما تتيحه هذه التنشئة من فرص لتوسيع آفاق المعرفة والانفتاح على ثقافات وتجارب متنوعة، فإنها تنطوي في الوقت ذاته على تحديات تتعلق بانتشار القيم الدخيلة، والتضليل الفكري، وضعف الضبط القيمي، الأمر الذي يستدعي تفعيل دور التوجيه التربوي والمؤسساتي، وتعزيز الشراكة بين الأسرة والمؤسسات التعليمية والإعلام الرقمي، بما يسهم في تحقيق الأمن القيمي والمجتمعي في الفضاء الافتراضي (Livingstone, 2018)، (Giddens, 2013).

ثانياً: مظاهر التطرف الناتج عن التنشئة الإلكترونية

التطرف الرقمي لا يبدأ فجأة، بل هو عملية «**نحت فكري**» هادئة تتم عبر الشاشات، وتتجلى في المظاهر التالية:

1. العزلة الشعورية والاجتماعية (Digital Isolation)

انسحاب الابن من الأنشطة الأسرية والاجتماعية وقضاء ساعات طويلة خلف الشاشة، حيث يبدأ في الانفصال عن واقعه الملموس والاندماج في «مجتمع افتراضي» بديل يتبنى أفكاراً صدامية.

2. ظاهرة «غرف الصدى» (Echo Chambers)

بسبب خوارزميات منصات التواصل، لا يرى الشاب إلا الأفكار التي تشبه ما يبحث عنه، مما يعزز لديه الاعتقاد بأن فكره المتطرف هو «الحقيقة الوحيدة» وأن العالم أجمع يشاركه هذا الرأي أو يتآمر ضده.

3. لغة التخوين ونبذ الآخر

ظهور نبرة حادة في الحوار، واستخدام مصطلحات إقصائية (مثل: كافر، خائن، عدو الفضيلة) تجاه أي رأي مخالف، وهي نتيجة مباشرة لـ «شيطنة الآخر» التي تمارسها المنصات المتطرفة.

4. التبعية العمياء للمؤثرين الافتراضيين

استبدال قدوة الوالدين أو المعلمين بـ «مؤثرين» مجهولي الهوية أو مشبوهي الفكر، يمتلكون مهارات خطابية وتقنية تجذب الشباب وتجعلهم يمتثلون لأوامرهم دون تفكير نقدي.

5. التطبيع مع العنف البصري

نتيجة التعرض المستمر لمقاطع وصور تتضمن عنفاً أو خطابات تحريضية تحت مسميات «البطولة» أو «النضال»، مما يقلل من حساسية الشاب تجاه الجريمة أو الإيذاء في الواقع.

ثالثًا: استراتيجيات التصدي للتطرّف الإليكتروني

مع دخولنا عام 2026، لم يعد الفضاء الإلكتروني مجرد وسيلة للتواصل، بل أصبح البيئة الأساسية لتشكيل هوية الأجيال. ومع تصاعد دور «التنشئة الإلكترونية» التي تتقاسمها الأسرة مع المنصات الافتراضية، برزت مداخل جديدة تستغل خوارزميات التوجيه والذكاء الاصطناعي لاستقطاب الشباب.

وتتمثل سبل التصدي في خمسة محاور أساسية:

1. التثقيف والتوعية (Education & Awareness)

حيث تعد التوعية حجر الزاوية في مواجهة التطرف عبر فهم جذوره وطرق انتشاره، ويتم ذلك من خلال: تحسين الوعي الاجتماعي بالتعرف على علامات التطرف، وتعزيز الحوار الشفاف، وإنشاء ثقافة التسامح، وتبني استراتيجيات للتثقيف تقوم على إدراج مفاهيم التوعية في المناهج التعليمية الرسمية، بالإضافة إلى تنظيم ندوات وفعاليات مجتمعية، وتطوير محتوى إعلامي يسلط الضوء على مخاطر الفكر الشاذ.

2. تعزيز مهارات التفكير النقدي (Critical Thinking Skills)

وذلك من خلال تدريب الأفراد على التفكير النقدي يساعدهم في تمييز المعلومات المغلوطة ومقاومة الدعاية المتطرفة؛ حيث يسهم ذلك في زيادة قدرة الأفراد على تحليل المصادر واتخاذ قرارات مستنيرة، وينمي التعليم التفاعلي والمشاريع الجماعية، ويمكن تنفيذ ذلك من خلال ورش عمل عملية للتمييز بين «الأخبار الحقيقية» و«الأخبار المزيفة» (Fake News)، وتطوير موارد رقمية لتنمية المهارات التحليلية.

3. دعم المبادرات المجتمعية (Community-Led Initiatives)

إذ تلعب المبادرات دوراً محورياً في بناء التفاهم والاحترام المتبادل بين مختلف الخلفيات الثقافية، بهدف تعزيز الروابط الاجتماعية وزيادة شعور الشباب بالانتماء، ويمكن القيام بذلك من خلال تدشين ورش عمل للحوار الثقافي، إقامة فعاليات فنية متنوعة، وتشجيع العمل التطوعي كبديل إيجابي للاستقطاب.

4. الشراكة بين الحكومات والمجتمع المدني (Governance & Partnership)

ذلك أنّ مواجهة التطرف تتطلب تضافر الجهود لوضع سياسات تشريعية ورقابية فعالة من أجل استثمار الموارد وتبادل المعرفة بين الجهات الرسمية والأهلية، ويمكن تعظيم هذه الشراكة من خلال تطبيق سياسات تدعم التعايش السلمي، وتوفير الدعم المالي والتدريبي لمنظمات المجتمع المدني، وإطلاق حملات قومية مشتركة لمكافحة التطرف الرقمي.

5. استخدام التكنولوجيا لمواجهة التطرف (Counter-Technology)

ينبغي العمل على تحويل التكنولوجيا من وسيلة لنشر الفكر المتطرف إلى أداة لمكافحته والحد من انتشاره، وذلك من خلال رصد وتتبع المحتوى المتطرّف؛ الدور الذي تضطلع به المراصد الفكرية المعنية بمكافحة الفكر المتطرف والسلوكيات الشاذة ومن بينها مرصد الأزهر لمكافحة التطرّف، وذلك من خلال استخدام تقنيات «التعلم الآلي» (Machine Learning) لتحليل أنماط السلوك المتطرف، كما يمكن بناء فضاء إليكتروني يمثّل الرواية المضادة للفكر المتطرف وأداة تفكيكه من خلال إنشاء منصات توفر معلومات آمنة تدعم قيم التعايش، أو تطوير منصات تعليمية تفاعلية للقيم الإنسانية والوصول للشباب في فضاءاتهم المفضلة (وسائل التواصل الاجتماعي).

6. تعظيم دور الأسرة في الرقابة وملء الفراغ

الأسرة هي الترياق الحقيقي للتطرف الرقمي، فالمتطرفون يبحثون دائماً عن «المنبوذين عاطفياً» أو «الفارغين فكرياً» لاستقطابهم، وهنا يبرز دور الأسرة كحائط الصد الأول والدرع الواقي للأبناء من فخاخ الاستقطاب نحو التطرّف؛ حيث يقع على عاتق الأسرة تزويد الأبناء بالمناعة اللازمة لمنع تسرب الفكر المتطرف لعقولهم والتلاعب بمشاعرهم وإفساد أيدولوجيتهم، لذا يتلخّص دور الأسرة في سبيل تحقيق الحماية الفكرية للأبناء فيما يلي:

- **استعادة «الدفء العاطفي»**، وذلك من خلال تحقيق الأمان النفسي للابن بما يشعره بالقبول غير المشروط داخل البيت، ومن ثم عدم إتاحة الفرصة له للبحث عن «الانتماء» في مجموعات مشبوهة تمنحه تقديراً زائفاً مقابل تبني أفكارها.

- **الإنصات النشط**، بحيث يجب تخصيص وقت يومي للحوار «بلا شاشات»، للاستماع لمخاوف الأبناء وتساؤلاتهم دون إلقاء أحكام مسبقة أو توبيخ.

- **ممارسة «التربية الرقمية الواعية»** وبناء القدوة الرقمية؛ إذ لا يمكن للأب أن يطلب من ابنه ترك الهاتف وهو يقضي جل وقته عليه، بل، يجب أن يرى الأبناء نموذجاً للاتزان الرقمي لدى الوالدين، فضلًا عن ربط الأبناء بالمؤسسات الدينية الرسمية والعلماء المشهود لهم بالوسطية، لقطع الطريق على الانسياق خلف «القدوة الزائفة» في الفضاء الافتراضي.

- **المشاركة والمصادقة لا التشكيك والمراقبة:** ثمّة حلول ناجعة للحد من ظاهرة انجراف الأبناء خلف التكنولوجيا الحديثة وتحوّلهم إلى أسرى للشاشات، فبدلًا من التجسس الذي قد يولد الرفض والعند، على الآباء أن يشاركوا أبناءهم اهتماماتهم الإلكترونية (ألعاب، برامج)، وأن يناقشوا معهم المحتوى الذي يشاهدونه بذكاء، وطرح أسئلة نقدية من عينة: «**من صاحب هذا المقطع؟**»، «**ترى ما هدفه؟**» «**ما رأيك في مناسبة هذا المحتوى من عدمها؟**» بما يحفّز التفكير لدى الابن ويحوّله من مجرّد مشاهد منبهر بالعرض أو الفكرة أو الموسيقى إلى ناقد يميّز بين ما يفيد وما يضرّ، وبالتالي يصبح مؤهلًا لنيل الثقة في اختياراته فيما بعد.

- **الاستفادة من التكنولوجيا في تحقيق أهداف الرقابة الأبوية:** حيث من المفيد استخدام التكنولوجيا لحماية الأبناء (من خلال تطبيقات مثل: (Parental Control) من باب الحماية وليس كأداة للقمع والتضييق على الأبناء وتقييد حريتهم، بل كـ «درع حماية» من المحتوى غير المناسب وتقنين لمساحة الحرية المكفولة لهم.

- **ملء الفراغ بالبدائل الواقعية**، ويمكن القيام بذلك من خلال ممارسة الأنشطة البدنية والاجتماعية، وإشراك الأبناء في رياضات جماعية، وحثهم على المشاركة في الأعمال التطوعية، وتنمية المهارات والهوايات؛ حيث تسهم هذه الأنشطة في تفريغ الطاقات وتعزيز «الأنا الواقعية» مقابل «الأنا الافتراضية».

- **التدريب والتأهيل على تحمّل المسؤولية:** ويتم ذلك من خلال إسناد مهام حقيقية للأبناء داخل المنزل بما يشعرهم بقيمتهم وتأثيرهم في محيطهم الصغير، ويقلّل من رغبتهم في البحث عن «بطولات وهمية» على الإنترنت.

ختامًا

إن التصدي لمداخل التطرف في زمن «**التنشئة الإلكترونية الافتراضية**» عملية متشابكة ذات أطراف عديدة تتطلب استراتيجية متعددة الأبعاد تجمع بين الإجراءات التوعوية، والنقدية، والمشاركة المجتمعية، والجوانب التشريعية، والتقنية. ولا تقتصر عملية مجابهة الفكر المتطرّف المنتشر عبر الفضاء الإليكتروني؛ فمن خلال هذه الجهود المتكاملة، يمكن بناء جيل محصّن فكرياً وقادر على العيش في بيئة تفاعلية سلمية تضمن الاستقرار المجتمعي في ظل الثورة الرقمية. كما نشير إلى أنّ التطرف يبدأ حيث ينتهي الحوار الأسري؛ إذ إنّ أعظم سلاح لمواجهة التربية الإلكترونية هو «**التواجد الإنساني الكثيف للأسرة**»؛ فالمحبة والوعي والنقاش المستنير هي الحصون التي لا تستطيع أي خوارزمية اختراقها.

المصادر والمراجع

1. إعلان مبادئ التسامح (اليونسكو)، دور التعليم في بناء الحصانة الفكرية.
2. تقرير الأمم المتحدة لمنع التطرف العنيف (2024)، استراتيجيات المواجهة الرقمية والذكاء الاصطناعي.
3. مرصد الأزهر لمكافحة التطرّف، التنشئة الاجتماعية وأثرها في مواجهة الغلو والتطرّف.
4. المرصد الرقمي Digital Watch Observatory، الاتجاهات في عام 2025م.
5. مركز الاعتدال العالمي، دراسات في التنشئة الإلكترونية وأثر الخوارزميات على الفكر الناشئ.